قطعة من كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري

قال ... من ذاك قال من لم تصححه الأيام ولم تولد له الأيام ولم
يشبه الأخوال والاعمام قال ومن ذلك قال سويد بن منجوف
قال عبد الملك لاذاك انت يا سويد قال نعم فلما خرجا قال
عبيد الله لسويد ورب بك زيادي والله ما يسرني بحلمك عن
جمر النعم قال سويد وانا والله ما يسرني انك نقصته حرفا
وان لي يسود النعم وانما كان عرض بعبد الملك وكان ولد لسبعة
اشهر وربما كانت البلاغة سببا للحرمان واسباب الامور
طريقة والاتفاق غيبة أخبرنا ابو احمد عن ابيه عن عسل
بن ذكوان قال كتب بعضهم الى المنصور كتابا حسنا بليغا
يستميحه فيه فكتب اليه المنصور البلاغة والغنى اذا اجتمعا
لامرئ ابطراه وامير المؤمنين مشفق عليك من البطر فاكفف
باحدهما وقوله ربما كانت البلاغة في الاستماع فان
المخاطب اذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدى اليه
الخطاب فالاستماع الحسن عون للبليغ على افهام المعنى وقال
ابرهيم الامام حسبك من حظ البلاغة ان لا يؤتى السامع من

سواهم الناطق ولا تؤتى الناطق من سوء فهم السامع وقال
الهندي ايضا البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن
وحسن الاشارة وقول عبيد الله بن عتبة البلاغة دنو
المأخذ وقرع الحجة وقليل من كثير فاما البصر بالحجة
ممثل ما اخبرنا به ابو احمد عن ابيه عن عسل بن ذكوان قال
قال الهيثم بن عدي ابنا ابن عطاء بن مصعب قال كان
ابو الاسود شيعة لعلي بن ابي طالب عليه السلم وكان جيرانه
عثمانية فرموه يوما فقال ارموني قالوا بل الله رماك قال
كذبتم انكم تخطئون وان الله لو رماني لما اخطاني وقال
بعضهم لابي علي محمد بن عبد الوهاب ما الدليل على ان
القرآن مخلوق قال ان الله قادر على مثله فما الجار
السائل جوابا ومثل ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب
وهو يوميذ خليفة وكان على المنبر يخطب في يوم جمعة
فدخل عثمان بن عفان عليه فقال عمر ما بال اقوام لا يتمون
الاذان ويتاخرون فقال عثمان والله ما ازددت الا ان تمثا

فقال الشاكي في الفعل وتفرد بالتعجب وقال له
قيته اعطني خاتمك اذكرك به قال اذكرني بالمنع
وقيل لا تعجل فان العجلة من عمل الشيطان وقال
لو كانت من عمل الشيطان لما قال موسى وعجلت اليك
رب لترضى وقال عبيد الله بن سليمان ان الاخبار المذكورة
في السخاء وكثرة العطاء من تصنيف الوراقين واكاذيبهم
فقال ابو العيناء ولم لا يكذبون على الوزير ايده الله
فاما الاشارة فسنذكرها في موضعها ان شاء الله
وقال حكيم الهند اول البلاغة اجتماع آلة البلاغة
وذلك ان يكون الخطيب رابط الجاش ساكن الجوارح متخير
اللفظ لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك
بكلام السوقة ويكون في قواه التصرف في كل
طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح المعاني كل
التنقيح ويصفيها كل التصفية ويهذبها كل التهذيب
ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما وفيلسوفا عليما ومتعمد

حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الألفاظ ونظر
في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة فيها لا على
جهة الاشتراط لها قال واعلم ان حق المعنى ان يكون
الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا ولا يكون الاسم فاضلا ولا
مقصرا ولا مشتركا ولا مضمنا ويكون تصفحه لمصادر كلامه
بقدر تصفحه لموارده ويكون لفظه موزونا ومعناه منزلا واضحا
ومدار الامر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم والحمل عليهم على قدر
منازلهم وان توانيه الله وتصرف اداته ويكون في التهمه
لنفسه معتدلا وفي حسن الظن بها مقتصدا فانه ان تجاوز
الحق في مقدار حسن الظن اودعها تاون الامنيين وان تجاوز
مقدار الحق في التهمه ظلمها واودعها ذل المظلومين ولكل
ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل
وهن مقدار من الخجل بقوله فاول البلاغه اجتماع آله البلاغه
واول آله البلاغه جوده القريحه وطلاقه اللسان وملاك
ذلك لانفه الرجل وعلى اد نسبه لنفسه واحله به

مستسلم لله سايس امره بذوي تجهضها له استسلام
صواب اللفظ وليس هو بحسن ولا مقبول وقال ابو دواد
راس الخطابه الطبع وعمودها الدربه وحناحاها روايه
الكلام وحليها الاعراب وبهاؤها وهما تخير الالفاظ والمحبه مقرونه
بقله الاستكراه ٥ وانشد ٥
يرمون بالخطب الطوال وتاره وحي الملاحظ خشيه الرقباء
ومن الدليل على ان مدار البلاغه على تحسين اللفظ ان
الخطب الرابعه والاشعار الرابيه ما عملت لافهام المعاني
فقط لان الردي من الالفاظ يقوم مقام جيده في الافهام
وانما يدل حسن الكلام واحكام صنعته ورونق الفاظه
وجوده مطالعه وحسن مقاطعه وبديع مبادية وغريب
مبانيه على فضل قابله وفهم منشيه واكثر هذه الاوصاف
ترجع الى الالفاظ دون المعاني وتوخي صواب المعنى احسن
من توخي هذه الامور في الالفاظ فهذا ثاني الكاتب
في الرساله والخطيب في الخطبه والشاعر في القصيده بيا الغوى

وينبغي ان يتجنب الكاتب جميع ما يكتب الكلام تعميته فيرتب
الفاظه ترتيبا صحيحا ويتجنب السقيم منه ومو مثل
ما كتب بعضهم لفلان وله اي حرمة مظلمة وكان ينبغي
ان يقول لفلان وانا ارعى حرمته مظلمة وما جرى هذا
المجرى من الترتيب المختار البعيد من الاشكال

الفصل الثاني من الباب الثالث

فيما يحتاج اليه الكاتب الى ارتسامه وامتثاله في مكاتباته
ينبغي ان تعلم ان الكتابة الجيدة تحتاج الى آلات كثيرة
وادوات جمة من معرفة العربية لتصحيح الالفاظ واصابة
المعاني والى الحساب وعلم المساحة والمعرفة بالازمنة والشهور
والاصله وعن ذلك مما لبيناها مما موضع ذكره وشرحه
لانا انما علمنا هذا الكتاب لمن استكمل هذه الآلات كلها
وبقي عليه المعرفة بصنعة الكلام وهي اصنعها واشدها
والشاهد ما روي لنا احمد عن مبرمان عن المبرد انه قال
لا احتاج الى وصف نفسي سلم الناس لي انه ليس احد

زايد والمعروف لهم شاهدا يقول اعراضهم باموالهم وقيل
لاعرابي يسوق ما لا كثيرا من هذا المال فقال لله في
يدي وفاك اعرابي لرجل مدحه انه ليعطي عطاء من
يعلم ان الله مادته وقول آخر اما بعد فوعظ الناس 8
بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحي من الله بقدر قربه منك
وخفه بقدر قدرته عليك وقول آخر ان شكلت
في فاسأل فلسك عني ومما يدخل في هذا الباب المساواة 8
وهو ان يكون المعاني بقدر الالفاظ والالفاظ بقدر المعاني
لا يزيد بعضها على بعض وهو المذهب المتوسط بين الايجاز
والاطناب واليه اشار القايل كان الفاظه فوالت
لمعانيه اي لا يزيد بعضها على بعض فمما في القرآن من ذلك
قوله عز وجل حور مقصورات في الخيام وقوله تعالى ودوا
لو تدهن فيدهنون ومثله كثير ومن كلام النبي عليه السلم
لا يزال امتي بخير ما لم ير الامانة مغنما والزكاة مغرما
وقوله عليه السلم اياك والمشاورة فانها تميت العزة وتجيء

العدة ومن الفاظ هذه الفصول ما كانت معانيه أكثر من
الفاظه وانما نكره لمرها كراهة الاطاله ومن نثر الكتاب
قول بعضهم سألت عن خبري وانا في عافية لاعيب فيها
الا فقدك ونعمة لا مزيد فيها الا بك وقوله علمتني بنوتك
سلوتك واسلمني بانسي منك الى الصبر عنك وقوله
حفظ الله النعمة عليك وفيك وتولى صلاحك والصلاح
لك واجزل من الخير حظك والحظ منك ومن عليك وعلينا
بك وقال الاخر ليست من صلاحك في واخاف فسادي
بك وقد اطنب في ذم الجار من شبهك به ومن المنظوم قول طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وقول الاخر

تهدي الامور باهل الرأي ما صلحت فان تأبت فبالجهال تنقاد

وقول الاخر

اما الذي بحسبهم فمكثر ولما الذي نظرهم فمقلل

وقول الاخر

أهابك اجلالا وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس انك عندها قليل ولكن قل منك نصيبها

وقول الاخر

اصد بأيدي العيس عن قصد اهلها وقلبي اليها بالمودة قاصد

وقول الاخر

يقول اناس لا يضرك فقدها بلى كل ما اسف النفوس يضيرها

وقول الاخر

يطول اليوم لا القاك فيه وحول تلتقي فيه قصير

وقالوا لا يضيرك ناى شهر فقلت لصاحبي فما يضير

قوله لصاحبي كاد يكون فضلا وأما الحذف

فعلى وجوه منها ان يحذف المضاف ويقيم المضاف اليه
مقامه ويجعل الفعل له كقول الله تعالى واسئل القرية
اي اهلها واشربوا في قلوبهم العجل اي حبه وقوله تعالى
الحج اشهر معلومات اي وقت الحج وقوله تعالى بل مكر
الليل والنهار اي مكركم فيهن وقال لهذلي

قوله فعلى وجوه

تمشي بيننا حانوت خمر من الخمس الصراصره القطاط
يعني صاحب حانوت فاقام الحانوت مقامه وقال الشاعر
لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسيه احرارها وعبيدها
يعني اهل المجلس ومنها ان يوقع الفعل على شيئين ويضمر لاحدهما
ويضمر الاخر فعله وهو قوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم
وكذلك هو في مصحف عبد الله وقال الشاعر
تراه كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه ثاب له وفر
وقول الاخر
اذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا
العيون لا تزج وانما اراد وكحلن العيونا ومنه ان بابي
الكلام على ان له جوابا فيحذف الجواب لاختصار العلم
المخاطب كقوله عز وجل ولو ان قرآنا سيرت به
الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر
جميعا اراد كان هذا القرآن لفعل وقوله تعالى ولو
لا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم اراد